مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

دور المفسر في اصلاح المجتمع والنهوض بالأمة(*)

د/ فكري عبد الله عبد الجليل الحكيمي
الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن- كلية التربية
رئيس قسم معلم الصف للتعليم الأساسي سابقاً
fekryut@hotmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 8/1/2022 تاريخ قبوله للنشر 25/1/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

دور المفسر في اصلاح المجتمع والنهوض بالأمة

د/ فكري عبد الله عبد الجليل الحكيمي
الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن- كلية التربية
رئيس قسم معلم الصف للتعليم الأساسي سابقاً

ملخص البحث

إن أمة الاسلام تشهد بحمد الله تعالى صحوة كبرى على صعيد الوعي بأوجاعها واحوالها وهي تشهد ايضا تقدماً ملحوظا على طريق فهم الواقع واستشراف المستقبل وهذا يعود بعد فضل الله وتوفيقه إلى النهضة العلمية والتواصل العالمي الذي اتاحه التقدم التقني المذهل بكل الأصعدة؛ وعلينا ان لا ننسى الجهود المباركة التي يبذلها المفكرون المسلمون ولا سيما من يصعدون النظر في كتاب الله ويفسرونه ويقربون معانيه للأمة ويترجمون تلك النصوص القرآنية إلى حلول تنفع الامه في الخروج من قضاياها المعاصرة وكذلك انتاج المفاهيم والرؤى والملاحظات التي يحتاج اليها المسلمون في مسائل فهم الواقع وتحليله وتوضيح آفاق النهضة المنشودة، واحتوت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التأويل، المفَسر، المفسِر، الأمة، الاصلاح، المجتمع، نهوض.

The Role of Holy Qur'an's Interpreters in the Reform and Rise of the Islamic society and Nation

Dr. Fikri Abdullah Abdal-Jalil Al-Hakimi
Associate Professor, Department of Quranic Sciences - College of Education
Former Head of the Class Teacher's Department for Basic Education

Abstract

The Islamic nation is witnessing a great awakening regarding its problems and sufferings. Our nation is witnessing a remarkable progress in understanding and realising its reality. Also, it has a clear foresight of the future. We must not forget the blessed efforts of Muslim intellectuals, in particular those who consider the Book of God. They interpret its holy verses to make its meanings understandable to the members of the Islamic society. They find in Holy Qur'an solutions that will definitely help our nation solve the contemporary issues that Muslims face daily. The interpreters also produce the concepts, visions, and observations that Muslims need to understand and analyse the reality. They pave the way for the much needed renaissance.

The study contains an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion.

Key words: interpretation, nation, reform, society, rise, interpreter, interpreted text.

المقدمة:

الحمد الله الذي أنزل على عبده التبيان، وخلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على أبلغ البلغاء صاحب أفصح لسان، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان. وبعد:

فإن الله تعالى شرف هذه الأمة بالقرآن العظيم الذي أنزله تبيان لكل شيء وهداية للناس كافة عربهم وعجمهم وفيه ما يسعدهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم للتي هي أقوم فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان فهو يهدي للتي هي أقوم في كل ما ينفع الإنسان وما يحتاجه.

فإن شرف العلم يكون باعتبار موضوعه وغايته، لأن علم التفسير هو بيان مراد الله تعالى على وفق ما يستطيعه الفهم البشري، ولذا فهو أشرف العلوم وأعظمها ولعظم علم التفسير، فإن بقية العلوم الشرعية انبعثت عنه فكان أول العلوم الاسلامية تدويناً، إذ هو الاصل في فهم القران وتدبره وعليه يتوقف استنباط الاحكام ومعرفة الحلال من الحرام وأمر الله بتدبره وتفهمه فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وقولـه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [محمد: ٢٤].

ولشرفه تسابق السلف والخلف لمعرفته والترغيب في مدارسته واستخراج كنوزه، فإنه من خلال تدريس الباحث لمقرر التفسير ومناهجه في بعض الجامعات وكذلك من خلال قراءة بعض التفاسير مثل: تفسير فتح القدير للشوكاني، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي، وفي ظلال القرآن لسيد قطب وغيرهم.

ظل هذا الموضوع يترسخ ويتأكد في ذهن الباحث للخوض فيه وإخراج دراسة مكتملة بهذا العنوان وعندما عزم الباحث على دراسته قام بالبحث عن عناوين قريبة أو مشابهة وأطلع على كتاب (التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للخالدي).

وكان فيه بعض الشذرات المهمة للبداية، ثم بعد أن شرع الباحث بهذه الدراسة قمت بالتصفح في الشبكة العنكبوتية ووجدت ورقة عمل مكونة من ٣٦ صفحة قدمت لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن: واقع وآفاق المنعقدة بجامعة الشارقة – كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بتاريخ ٢٥ نيسان ٢٠١٠م الموافق ١١ جماد الاولي ١٤٣١هـ.

وقدمت الورقة بعنوان قريب من هذه الدراسة: دور التفسير الموضوعي ومنهجه في معالجة المشكلات المعاصرة للدكتور محمد عبدالرحمن المرعشلي، وقربت الورقة من دراسة الباحث من حيث الفكرة فقط، أما من حيث المنهج وطريقة الدراسة فكانت مختلفة تماما، اذ كانت هذه الورقة جزء من مضمون هذه الدراسة.

وكذلك قام الباحث في ورقة العمل بتناول نوع واحد من أنواع التفسير (التفسير الموضوعي) ملخصاً ما جاء في كتاب التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للخالدي ومقتبساً من كتابي د. مصطفى مسلم في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي ود. عبدالستار فتح الله السعيد في كتابه المدخل إلى التفسير الموضوعي ثم أن الباحث في خاتمه ورقة العمل التي قدمها لمؤتمر جامعة الشارقة قد أوصى بدراسات أعمق ولمثل هذه الموضوعات في علم التفسير وعلاقته بحل قضايا الأمة المعاصرة.

والحمد الله على ما يسر للباحث لطرق هذا الموضوع وتناوله دور المفسر وعلم التفسير عامة بأنواعه ومناهجه في حل قضايا الأمة فكانت الدراسة موسومة بعنوان: (دور المفسر في إصلاح المجتمع ونهوض الأمة).

وتتبع أهمية هذه الدراسة بأنها تكشف عن دور علماء التفسير وجهودهم المباركة في إصلاح المجتمعات والنهوض بالأمة.

الكشف عن مهمة أهل التفسير ومكانتهم في المجتمع وتمكنهم بمعرفة أكثر العلوم الشرعية والاجتماعية.

ومن الدوافع لاختيار هذه الدراسة، الميل إلى الدراسات المتعلقة بالتفسير والرغبة في خدمة كتاب الله تعالى، والسعي إلى إبراز تجاوب القرآن مع اهتمامات الناس أفرادا وشعوبا لما فيه حلولا لما يواجهون من مشكلات وقضايا في مجتمعاتهم.

ظهور وكثرة الدعوات الإصلاحية الوضعية الخارجة عن هدي القرآن التي في الغالب لا تلبي احتياجات العصر.

هذه الدراسة جديرة بأن تؤكد أن القرآن هو المصدر الأول لإصلاح المجتمعات في كافة الجوانب المختلفة، من خلال المفسر الحاذق الأمين.

واعتمد الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج، منهج التحليل الوصفي والمنهج الاستقرائي التطبيقي.

وجاءت هذه الدراسة مكونة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. كالاتي:

مقدمة: وتتضمن (اسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة، الدراسات السابقة، منهجية البحث، هيكلة الدراسة).

فالتمهيد: تعاريف ومفاهيم (التفسير والتأويل، المفَسر، المفِسر، الأمة، الاصلاح، المجتمع، نهوض)

والمبحث الأول: صفات وشروط شخصية المفسر وأثرها عليه.

المطلب الأول: أثر شخصية المفسر واتجاهه على التفسير.

المطلب الثاني: الصفات التي تجب توفرها في المفسر.

المطلب الثالث: العلوم التي تجب على المفسر.

المطلب الرابع: شروط شخصية المفسر وطريقة صياغته للتفسير.

والمبحث الثاني: أهمية دور المفسر في اصلاح المجتمع ونهوض الأمة.

المطلب الأول: القرآن كتاب هداية ونجاة للأمة.

المطلب الثاني: مقاصد القرآن لإصلاح المجتمع ونجاة الأمة.

المطلب الثالث: نشأة التفسير وتتطور حركته التاريخية إلى عصرنا وأثرها على المفسر.

المطلب الرابع: أهمية دور المفسر في توجيه التفسير لإصلاح المجتمع ونهوض الأمة.

والمبحث الثالث: نماذج لمناهج تفسير عالجت قضايا الأمة (الجانب التطبيقي).

المطلب الأول: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني.

المطلب الثاني: محاسن التأويل للقاسمي.

المطلب الثالث: تفسير القرآن لمحمد عبده.

ثم **الخاتمة** لأهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله على ما وفق ويسر، فهو سبحانه وتعالى المعين، وعليه التكلان.

أولاً: التمهيد:

وتبدأ الدراسة بتعريف مصطلحاتها بإيجاز مع اضافة بعض القناعات والأفكار للباحث.

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: مأخوذ من فسر الشيء يفسره ويفسره فسرا: بينه وأوضحه، والمغطى كشف عنه، فهو البيان والكشف والإظهار، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي بياناً[١].

وفي اصطلاح المفسرين:

تنوعت عباراتهم في تعريفه، بيد أنهم تواطئوا على أنه موضوع لفهم مراد القرآن (كلام الله) بقدر الطاقة البشرية، ويمكن إيراد بعض تعريفاتهم فمنها:

- التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[٢].
- التفسير هو البحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث فهم مراده بقدر الطاقة البشرية[٣]

تعريف التأويل لغة واصطلاحاً

من أهم المصطلحات المتعلقة بعلم التفسير، التأويل.

التأويل لغة: هو تفسير ما يؤول اليه الشيء.

والتأويل جمع معاني الفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه وهو يعني تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصلح الا ببيان غير لفظه[٤].

والتأويل في الاصطلاح: من المصطلحات التي تدل على عدة معان متنوعة تختلف باختلاف كل علم تندرج تحته:

فقد عرفه الامام الجرجاني بأنه صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة مثل قوله تعالى (يخرج الحي من الميت) إن أراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن اراد به اخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً[٥].

ويقصد بالتأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهري احتمال مرجوع به لاعتضاده بدليل يصير به، أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر[٦].

فالتفسير والتأويل (باعتبارهما مصطلحان لمفهوم عام واحد) رأس العلوم الاسلامية وأولها ظهورا حيث كان النبي يفسر للصحابة ما دق معناه واستشكل عليهم.

المفسَر: المفسَر هو ما كان المراد مكشوفاً على وجه لا يبقى معه احتمال التخصيص ان كان عاماً أو التأويل ان كان خاصاً فالمفسر ابين وأوضح من الظاهر والنص[٧].

(١) المناوي، التوفيق على مهمات التعاريف، ص١٩٢.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٨٠/٢.
(٣) الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٤/١.
(٤) ابن منظور، لسان العرب باب اللام فضل الألف.
(٥) الجرجاني، التعريفات، ص٥٠.
(٦) انظر: ابن قدامه، روضة الناظر، ج١، ص٥٠٨.
(٧) معجم علوم القران، ص٢٧٢.

فسر الامر فسراً بينه، وفسره بالتضعيف للمبالغة[١].

وفي اصطلاح الأصوليين: هو ما ينبئ عن المراد بنفسه من غير افتقار إلى قرينة[٢].

المفسرون (مفسر): هم من اعتنوا بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.

تعريف الأمة

الأمـة: الجماعة من الناس يجمعهم أمر واحد من أصل أو دين أو مكان أو زمان قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [ال عمران: ١١٠] هم الامة الاسلامية[٣].

والامة الاسلامية في وقتنا الحاضر أصبحت في مؤخرة الأمم وتنكبت عن ركب الحضارة وتداعت عليها أسافل الامم كما تداعى الأكلة على قصعتها واستعصى حل قضاياها لبعدها عن دينها وتركها هدى القرآن ومنهجه في الحياة ولو علموا أن سعادتهم من خلال فهم مضمون القرآن وتحليله بفهم معاصر وتحليل واقع لما تركوه ولعادوا إلى هذا المعين الذي لا ينضب من إعطاء كافة الحلول لكل ما يواجه الآمة من قضايا ومشكلات مستعصية ولعلموا كذلك وأيقنوا بأنه لن يصلح آخر هذه الآمة إلا بما صلح به أولها "كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد عرف المسلمون الأوائل مكانة القرآن والهدف الذي أنزل من أجله فطبقوه في واقع حياتهم فأعزهم الله بالقرآن فسادوا الدنيا بأسرها مشرقها ومغربها وأصبحوا خير أمة اخرجت للناس[٤].

تعريف المجتمع لغة واصطلاحا

المجتمع لغةً: من اجتمع اجتماعاً، بمعنى التقاء أفراد في مكان وزمان معين، وعلم الاجتماع: علم يبحث في نشوء الجماعات الإسلامية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها[٥].

واجتمع القوم أي أنضم بعضهم إلى بعض حتى صاروا جمعاً، والأمر الجامع هو الذي يقتضي أن يجتمع الناس له، والجمع أن تجمع شيئا إلى شيء، والإجماع: أن تجمع الشيء المتفرق جميعاً فإذا جعلته جميعا ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه المعنى[٦].

ورد في كتاب معجم الألفاظ والأعلام القرآنية أصل المادة جمع جاءت مادة (جمع) في القران وما تصرف منها مائة وتسع وعشرون مرة وكلها تدل على معنى مجتمعين، وأكثر ما يستعمل (جمع) في الأعيان وأكثر من يستعمل (أجمع) في الآراء[٧].

والمجتمع اصطلاحاً

هو مجموعة من الأفراد يربط بينها رابط مشترك يجعلها تعيش عيشة مشتركة وتنظم حياتها علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم وقد يكون هذا الرابط الأرض وما يقوم عليها من مصالح

(١) ابراهيم احمد عبدالفتاح، القاموس القويم للقران، باب (فسر)، ص٣٧٩.
(٢) انظر: ابن قدامة، روضة الناظر، ٥٠٦/١.
(٣) القاموس القويم، مادة الام، ص٣٧.
(٤) عبدالكريم بكار، كيف نفهم الأشياء من حولنا، ص١٦٠.
(٥) ابن منظور، لسان العرب.
(٦) انظر ابن منظور، لسان العرب فصل الجيم، ص٥٨.
(٧) انظر محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص١٠٥.

مشتركة، وقد يكون الجنس والأهل وما يتصل به من لغة وثقافة وتاريخ ومبادئ، وهو المجتمع القومي كالمجتمع العربي والتركي وقد يكون المبادئ السائدة والمعتقدات المشتركة وما يتولد عنها من أفكار وعواطف وسلوك كالمجتمع العقائدي مثل المجتمع المسلم(١).

تعريف الإصلاح لغةً واصطلاحا

هو ما يدل على خلاف الفساد، تقول صلح الشيء يصلح صلوحاً، قال الفراء: وحكى اصحابنا صلُح أيضاً بالضم وهذا الشيء يصلُح لك أي هو من بابك، والصِلاح بكسر الصاد المصلاحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث، والصلح بالضم السلم وقد اصطلح وتصالحا، والإصلاح نقيض الإفساد، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح نقيض الإستفساد(٢)(٣).

واصطلاحا: إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرأ عليه من فساد.

وكلمة الإصلاح ومشتقاتها جاءت في القران الكريم أكثر من ثمانين مرة وكلها تدل على إصلاح الفرد والجماعة والمجتمع بما تحويه من مدلولات، والعجيب أن كلمة الإصلاح ومشتقاتها جاء في الغالب معرفاً للاستغراق ليشمل كل فساد سواء كان في المعتقدات أو في العبادات أو في المعاملات أو في العلاقات أو الخلافات الأسرية، وكلما جنح الفرد أو المجتمع للصلح يكون خيراً، قال تعالى: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨](٤).

مفهوم مصطلح نهوض الأمة

ومصطلح نهوض الأمة من المصطلحات الحديثة، ذو المفاهيم الواسعة والمتنوعة بحسب المجال الذي يتناوله. ومن وجهة نظر الباحث فإن مصطلح نهوض الأمة يعني التطور الحضاري والإصلاح المتنوع المجتمعي.

والنهضة الاجتماعية هي من ثمار المدنية الحديثة للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية وبقية عوامل الارتقاء المجتمعي على اختلاف وجوهها(٥).

أسباب احتياج الأمة للتفسير:

١- ومن أهم أسباب احتياج الأمة للتفسير، كمال فضيلة القرآن وقوته العلمية بجميع المعاني الدقيقة وفي المقابل نقصان فهم الانسان خاصة كلما بعد عن الزمان عن تنزل الوحي، ولذا فنحن نحتاج إلى تفسير القرآن الى ما كان يحتاج إليه الأوائل وزيادة.

٢- تجدد الاحداث مع ثبات النصوص: ونصوص القرآن جاءت ثابتة لا تتغير لكن معانيها تحتمل كل شيء تجدد في قضايا الناس وشؤون حياتهم لأن الله الذي خلقهم يعلم ما يكون منهم عند نزول القرآن وبعده، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

ولكن هذا الثبات في النصوص القرآنية مع شمول معانيها للأحداث المتجددة يحتاج إلى من يبين ويستنبط دخول الأحداث المتجددة في معاني تلك النصوص(٦).

(١) انظر محمد المبارك، المجتمع المسلم، ص٩.
(٢) انظر: الصحاح في اللغة والعلوم، مادة صلح، ٣٩٣/١.
(٣) ابن منظور، ولسان العرب، المادة نفسها ٥١٦/٢.
(٤) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.
(٥) انظر: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والاسلامي الحديث والمعاصر.
(٦) ابن حجر، فتح الباري، ٢٦٧/١٣٠.

ويكون الهدف العام من التفسير:

هو بيان الرؤية القرآنية للقضايا العامة التفصيلية في شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

وبقدر عناية المسلمين بالقرآن تكون رفعتهم وعلو مكانتهم ورقيهم وتعايشهم وبقدر اهمالهم له يكون ضياعهم وهلاكهم وظهور المشكلات التي تفتك بهم يقول صلى الله عليه وسلم أن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين(١).

شرف علم التفسير

فعلم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث:

أحدها: من جهة الموضوع: فان موضوع كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وثانيها: من جهة الغرض: فان الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.

وثالثها: من جهة شدة الحاجة: فان كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

وقد حوى القران ثمرات الكتب السماوية السابقة ونسخ منها مالا حاجة لامتداده وتمم ما أراد الله ان يكمله ليبقى مدى الأزمان صانعاً للحياة صابغاً لها بصبغة الله تعالى شافياً لاسقامها، بانياً لنهضتها(٢).

وفي ذلك يقول سيد قطب في ظلاله (..... والبشرية من صنع الله تعالى ولذلك لا تفتح مغاليق فطرتها الا بمفاتيح من صنع الله خالقها ولا تعالج امراضها وعللها الا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه، وقد جعل الله مفاتيح كل مغلق وشفاء كل داء في كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الاسراء: ٨٢](٣).

ونرى أن التفسير في العصر الحديث قد انتقل إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة التجديد، ونعني بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الإبداع والتحسين والجدة، ولا نعني به الخروج على القواعد والضوابط والأسس، والإنفلات والفوضى، والقول في القرآن وفق الهوى، وتحريف معاني الآيات ودلالاتها، لتوافق مقررات الغربيين أو الشرقيين(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه. رقم(٨١٧).
(٢) المجيدي، عبدالسلام مقبل، التنوير في اصول التفسير، ص٢٦-٢٧.
(٣) سيد قطب، في ظلال القران، ١١٥/١.
(٤) انظر: الخالدي، التفسير الموضوعي، ٢٨.

المبحث الأول: صفات وشروط شخصية المفسر وأثرها عليه

حرص الباحث في منهجيته لتقسيم مباحث الدراسة بعد التمهيد أن يتناول المبحث الأول شخصية المفسر وما يختص به وتأثره بزمنه واتجاهه ودوره المهم في اصلاح المجتمع ونهوض الأمة، وتكون المبحث من أربعة مطالب كما ستأتي.

المطلب الأول: أثر شخصية المفسر واتجاهه على التفسير

من المعلوم أن الشخص الذي يُفسِّر نصاً من النصوص، يُلوِّن هذا النص بتفسيره إياه، لأن المتفهم لعبارة من العبارات، هو الذي يحدد معناها ومرماها وفق مستواه الفكري، وعلى سعة أفقه العقلي، وليس في استطاعته أن يفهم من النص إلا ما يرمى إليه فكره، ويمتد إليه عقله، وبمقدار هذا يتحكم في النص ويُحدِّد بيانه، وهذا أصل ملحوظ، نجد آثاره واضحة في كتب التفسير على اختلافها، فما من كتاب منها إلا وقد وجدنا آثار شخصية صاحبه وقد طبعت تفسيره فلا يعسر علينا إدراكه.

غير أن هذا الطابع الشخصي الذى يُطبع به التفسير، إن ظهر لنا جلياً واضحاً في كتب التفسير بالرأي، فإنَّا لا نكاد نجده لأول وهلة على هذا النحو من الوضوح والجلاء بالنسبة لكتب التفسير بالمأثور، ولكن نستطيع أن نتبينه إذا ما قدَّرنا أن المتصدي لهذا التفسير النقلي إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه، متعلقة به، فيقصد إلى ما يتبادر لذهنه من معناها، ثم تدفعه الفكرة العامة فيها إلى أن يصل بين الآية وما يروى حولها في اطمئنان، وبهذا الاطمئنان، يتأثر نفسياً وعقلياً، حينما يقبل مروياً ويعنى به، أو يرفض مروياً حين لا يرتاح إليه. وكذلك راج بين المتقدمين – كما لاحظه ابن خلدون في مقدمته – ما هم في شوق إليه وتعلق به، من أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، وتفصيل الأحداث الكبرى في تاريخ الإنسانية الأولى، نظراً لبداوتهم وأُميّتهم، وقلَّة المتداول بينهم منه، فكان من وراء ذلك كثرة الإسرائيليات، وليس من شك في أن هذا صورة عقلية، وطابع شخصي لهذا العصر الأول، كما أنه صورة عقلية، وطابع شخصي لكل مَن يقبل هذه الإسرائيليات، ويُفسِّر بعض آيات القرآن على ضوئها.

ثم إننا بعد هذا نلحظ لوناً شخصياً آخر في التفسير النقلي، ذلك أن الشخص الذى يعرف قيمة الرجال، ويستطيع أن ينقد السند، ويعرف أسباب الضعف في الرواية، نرى تفسيره يطبع بهذا الطابع الشخصي الخاص، فيتحرى الصحة فيما يرويه، فلا يدخل في كتابه مروياً اعتراه الضعف أو تطرق إليه الخلل. أما الشخص الذي لا دراية له بأسباب الضعف في الرواية، وليس عنده القدرة على نقد الرجال ونقد المروى عنهم فحاطب ليل، يجمع كل ما يُنقل له في ذلك بدون أن يُفرِّق بين الصحيح وغيره. وبهذا يتضح جليا أن رواج التفسير النقلي وتداوله تكون شخصية المتعرض للتفسير هي الملوِّنة له، المروِّجة لصنف منه.

دُوِّنت علوم اللغة، ودُوِّن النحو الصرف، وتشعَّبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي قائماً على قدمه وساقه في العصر العباسي، وقامت الفِرَق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وتُرجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي، وصار أظهر شيء في هذه الكتب، هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك على المأثور. وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب

المؤلَّفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكَّمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النِحَل والأهواء فيه ظهوراً جلياً. وإنَّا لنلحظ في وضوح وجلاء: أن كل مَن برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه، فالنحوي تراه لا هَمَّ له إلا الإعراب وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافياته، وذلك كالزَجَّاج، والواحدي في "البسيط"، وأبي حيان في "البحر المحيط". وصاحب العلوم العقلية، تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تراه يعنى بذكر شبُههم والرد عليهم، وذلك كالفخر الرازي في كتابه "مفاتيح الغيب". وصاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلة للفروع الفقهية، والرد على مَن يخالف مذهبه، وذلك كالجصَّاص، والقرطبي.. وصاحب التاريخ، ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار مَن سَلَف، ما صح منها وما لا يصح، وذلك كالثعلبي والخازن.. على أننا لو نظرنا إلى مناحي المفسِّرين واتجاهاتهم، لوجدناهم مع اختلاف عصورهم يشتركون فيها، فبينما نجد من المتقدمين مَنْ دوَّن التفسير بالمأثور خاصة، نجد من المتأخرين مَنْ قَصرَ تفسيره على المأثور أيضاً. وبينما نجد منَ المتقدمين مَنْ نحا في تفسيره الناحية الإشارية نجد مِنَ المتأخرين مَنْ ينحو هذا المنحى بعينه، وبينما نجد مِنَ المتقدمين مَنْ حاول إخضاع القرآن لمذهبه وعقيدته نجد مِنَ المتأخرين مَنْ حاول مثل هذه المحاولة وهكذا نجد كثيراً من كتب التفسير على اختلاف أزمانها تتحد في مشربها، وتتجه إلى ناحية واحدة من نواحي التفسير المختلفة.

- ومن أهم ما يطلب من المفسر لئلا يزيغ ولا يبتعد عن المنهج الصحيح لتفسير القرآن: أن يجرد المفسر نفسه من الميل بعينه، حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن على حسب رأيه ومذهبه، ولا يزيغ بالقرآن عن منهجه الواضح، وطريقه المستقيم(١).
- "يجب – كخطوة أولى – على كل من يريد فهم القران، سواء آمن به أولم يؤمن أن يخلي ذهنه ما أمكن من جميع ما استقر فيه من قبل من التصورات والنظريات، ويطهره من سائر ما يكنه من الرغبات الموالية أو المناوئة، ثم يكب على دراسته بقلب مفتوح وأذن واعية وقصد نزيه لفهمه، وأما الذين يدرسونه واضعين طائفه من التصورات في اذهانهم مقدماً فيما بين دفتيه الا تصورات أنفسهم، ولا يجدون شيئاً من رائحة القران. ولا يصلح هذا المنهج لدراسة أي كتاب من الكتب، فكيف بالقران الذي لا يفتح كنوز معانيه أبداً للذين يدرسونه باتباع مثل هذا المنهج"(٢).
- التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة من الإسرائيليات ونحوها حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين(٣).

المطلب الثاني: الصفات التي تجب توفرها في المفسر.

ذكر السيوطي أقوال العلماء في من يمكنه تفسير القرآن فقال:

قال بعض العلماء اختلف الناس بتفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟

فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفةِ الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما رُوي عن النبي في ذلك.

(١) محمد أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات في التفسير، ص٥٨

(٢) انظر: المودودي، مبادئ اساسية لفهم القرآن، ص٥

(٣) محمد أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات في التفسير، ص٥٨

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر[١].

قال الزركشي في برهانه يذكر بعض هذه الشروط: (وأعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقةً ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمد على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون راجعا إلى معقولة وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض)[٢].

الصفات الذاتية التي يجب توفرها في المفسر:

وهي شروط وصفات لازمة لا يحل التعرض لتفسير القرآن بدونها صيانة للكتاب العزيز عن العبث في معانية وهذه الشروط هي:

١-صحة الإعتقاد وسلامة المنهج.

والعلة في هذا أن فساد الاعتقاد والمنهج يصير بصاحبه إلى تحريف دلالة القران إلى ما يعتقد وينهج وقد وقع ذلك من طوائف ممن تصدى للتفسير ولم يكونوا على الاستقامة فقالوا على الله غير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه.

٢-صحة المقصد والتجرد للحق والسلامة من الهوى.

وهذا شبيه في أثره للذي قبله ومتمم له، فالإخلاص والصدق قائد لصاحبه إلى الهدى. وصحة المقصد من أعظم أسباب التوفيق وفهم القرآن توفيق ومنحة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[٣].

٣-التحري والتثبت في الفهم.

وأحسن ما يعين عليه ويرشد إليه اتباع الطرق الشرعية لفهم القرآن وذلك وفق المنهجية الصحيحة لتفسير القرآن حيث يفسر القرآن بالقرآن ثم يفسره السنة ثم يفسره بأقوال الصحابة ثم يفسره بما يوافق اللغة العربية وأساليبها.

٤-الدقة في النقل واعتماد القوي الثابت.

وذلك في نقل اللغة وفي كل ما يعتمد على الإسناد من الحديث في القراءات والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والآثار عن الصحابة ومن بعدهم وفي الكلام المعزو للعلماء خاصة علماء السلف فإن الحكايات الواهية وما لا أصل له كثير في ذلك[٤].

المطلب الثالث: العلوم التي تجب على المفسر

العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر: اشترط العلماء في المفسِّر الذي يريد أن يُفسِّر القرآن بدون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط، أن يكون مُلِماً بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يُفسِّر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسِّر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم. وإليك هذه العلوم مفصَّلة، مع توضيح ما لكل علم منها من الأثر في الفهم وإصابة وجه الصواب:

(١) انظر: السيوطي، الاتقان، ١٨٢/٢.
(٢) انظر: الزركشي، البرهان ١٨١/٢.
(٣) البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا، برقم ٧١.
(٤) الجديع، المقدمات الاساسية، ص٢٩٢.

الأول: علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"، ثم إنه لا بد من التوسع والتبحر في ذلك، لأن اليسير لا يكفي، إذ ربما كان اللفظ مشتركاً، والمفسِّر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد.

الثاني: علم النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلابد من اعتباره. أخرج أبو عبيدة عن الحسن أنه سُئِل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حُسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها.

الثالث: علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ. فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها.

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح؟

الخامس والسادس والسابع: علوم البلاغة الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع": فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرب به وجوه تحسين الكلام.. وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسِّر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: علم أصول الدين: وهو علم الكلام، وبه يستطيع المفسِّر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحَل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسِّر في ورطات.

العاشر: علم أصول الفقه: إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتنبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهى، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم.

الحادي عشر: علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

الثاني عشر: علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

الثالث عشر: علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكوم من غيره. ومَن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

الرابع عشر: الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم، ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يُورثه الله تعالى – لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وبقوله صلى الله عليه وسلم: "مَن عمل بما علم وَرَّثه اللهُ علم ما لا يعلم"(١).

قال السيوطي بعد أن عَدَّ علم الموهبة من العلوم التي لا بد منها للمفسِّر: "ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان. وليس الأمر كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: "اعلم أنه لا يحصل للناظر

(١) سنن الدارمي، المقدمة، برقم (٣٤٢).

فهم معانى الوحى ولا تظهر له أسراره، وفى قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب دنيا، أو هو مُصِرُ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسِّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض" قلت: وفى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الاعراف: ١٤٦] قال ابن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن.

هذه هي العلوم التي اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله تعالى، وقد ذكرناها مسهبة مفصَّلة، وإن كان بعض العلماء ذكر بعضاً وأعرض عن بعض آخر، ومنهم مَن أدمج بعضها في بعض وضغطها حتى كانت أقل عدداً مما ذكرنا، وليس هذا العدد الذي ذكرنا حاصراً لجميع العلوم التي يتوقف عليها التفسير.

فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر القرآن بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه، والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فزاد هو وتلميذه السيد محمد رشيد رضا بعض العلوم الأخرى كالعلم بتاريخ البشر (علم الإجتماع) وعلم السيرة، والعلوم الكونية، وقد زدت ولله الحمد كما زاد غيري بعض العلوم ومنها:

١- أن يكون عالماً بالأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، ولأن عز ذلك في عصرنا هذا فليكن واقفا على ما نقله العلماء وجمعه الأئمة فيما يتعلق بتفسير القران وبيان فضائل آياته وسوره.

٢-أن يكون عالماً بالسير ولا سيما سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير أصحابه النبلاء رضوان الله عليهم وعالما بالتواريخ وأحوال الأمم الماضية ولا سيما تاريخ الأنبياء السابقين والملوك الغابرين فإن ذلك يعين المفسر على إصابة وجه الحق والصواب لأن في القران كثير من الآيات لا يمكن تفسيرها إلا بعلم السير كالآيات المتعلقة ببدر وأحد والأحزاب وغيرها وكثير من الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء الماضيين ولا يمكن تفسيرها إلا بمعرفة التواريخ.

٣-أن يكون على علم بعلم الاجتماع البشري وعلم النفس فإن هذين العلمين يعينان المفسر على فهم المراد من بعض الآيات وتفسيرها تفسيرا علميا صحيحا والكشف عما فيها من أسرار اجتماعية ونفسيه وقارئ التفسير اليوم تستهويه التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية والاجتماعية.

٤-أن يكون على علم بتاريخ الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية وما دخلهما من تحريف وتبديل، لئلا يقع في مزالق الإسرائيليات والروايات المزيفة المشوهة لديننا الاسلامي.

فإن كان من يتعرض لتفسير كتاب الله على علم بهذه العلوم كلها سواء ما ذكرها الإمام السيوطي وغيره وما ذكرنا فقد استأهل أن يفسر القران الكريم وإلا فليرح نفسه وليرحنا معه ولا يخبط في كتاب الله خبط عشواء[1].

(١) انظر: السيوطي، الاتقان، ١٨٢/٢، محمد أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات في القرآن، ٤٠.

المطلب الرابع: شروط شخصية المفسر وطريقة صياغته للتفسير

المنهج الذي يجب على المفسِّر أن ينهجه في تفسيره:

ان المفسِّر لا بد أن يلم بكل العلوم التي هي وسائل لفهم كتاب الله، وأدوات للكشف عن أسراره، كما علمنا مما سبق أيضاً: أن المفسِّر لا بد أن يطلب المعنى أولاً من كتاب الله، فإن لم يجده طلبه من السُنَّة، لأنها شارحة للقرآن ومُوضِّحة له، فإن أعجزه ذلك رجع إلى أقوال الصحابة، لأنهم أدرى بكتاب الله وأعلم بمعانيه، لما اختُصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ولاحتمال أن يكونوا سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن عجز عن هذا كله، ولم يظفر بشيء من تلك المراجع الأولى للتفسير، فليس عليه بعد ذلك إلا أن يُعمل عقله، ويقدح فكره، ويجتهد وسعه في الكشف عن مراد الله تعالى، مستنداً إلى الأصول التي تقدَّمت، مبتعداً عن كل ما ذكرنا من الأُمور التي تجعل المفسِّر في عِداد المفسِّرين بالرأي المذموم، وعليه بعد ذلك أن ينهج في تفسيره منهجاً يراعى فيه القواعد الآتية، بحيث لا يحيد عنها، ولا يخرج عن نطاقها، وهذه القواعد هي ما يأتي:

١- على المفسر أن يدخل عالم القرآن بدون مقرر فكري مسبق بأن يؤمن بفكر ما، أو يعتقد اعتقادا ما، أو ينتمي لمذهب ما، وينحاز إلى ما أمن به واعتقد بل يجب عليه أن يدخله بحيادية علمية موضوعية، يتخلى عن الاختيارات الفكرية السابقة، ويقوم بجولة مع الآيات وموضوعات القرآن، وهو خالي الذهن يسير مع القرآن حيث سار، ويتوجه معه حيث توجه. وذلك ليكون فهمه للآيات وإيحاءاتها صائبا، وتدبره صحيحا، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين فصيح معجز، فكيف يدرك موضوعاته ويفهم حقائقه ويقف على حلوله وعلاجاته من لم يفهم لغة القرآن وبلاغته وأساليب تعبيره وغريب معانيه وأسباب نزوله والناسخ والمنسوخ منه(١).

٢- مطابقة التفسير للمفسَّر، من غير نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، ولا زيادة لا تليق بالغرض ولا تناسب المقام، مع الاحتراز من كون التفسير فيه زيغ عن المعنى وعدول عن المراد.

٣- مراعاة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فلعل المراد المجازي، فيحمل الكلام على الحقيقة أو العكس.

٤- مراعاة التأليف والغرض الذي سِيق له الكلام، والمؤاخاة بين المفردات.

٥- مراعاة التناسب بين الآيات، فيبيّن وجه المناسبة، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن، حتى يوضِّح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجز بعض.

٦- ملاحظة أسباب النزول. فكل آية نزلت على سبب فلا بد مخن ذكره بعد بيان المناسبة وقبل الدخول في شرح الآية، وقد ذكر السيوطي في الإتقان أن الزركشي قال في أوائل البرهان: "قد جرت عادة المفسِّرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه: أيهما أولى بالبداءة؟ أيُبدأ بذكر السبب، أو بالمناسبة لأنها المصحِّحة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول؟ قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد. وإن لم يتوقف على ذلك، فالأَوْلى تقديم وجه المناسبة".

(١) انظر: الخالدي، التفسير الموضوعي، ص٥١.

٧-بعد الفراغ من ذكر المناسبة وسبب النزول. يبدأ بما يتعلق بالألفاظ المفردة – من اللغة، والصرف، والاشتقاق– ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبيّن المعنى المراد، ثم يستنبط ما يمكن استنباطه من الآية في حدود القوانين الشرعية.

٨-على المفسِّر أن يتجنب ادعاء التكرار في القرآن ما أمكن. نقل السيوطي عن بعض العلماء أنه قال: "مما يدفع توهم التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، ﴿صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٥٧] وأشباه ذلك، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يُحدث معنًى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ".

٩-على المفسِّر أيضاً أن يتجنب كل ما يُعتبر من قبيل الحشو في التفسير كالخوض في ذكر علل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين، فإن كل ذلك مقرر في تآليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلّماً في علم التفسير دون استدلال عليه.

١٠-وكذلك على المفسِّر أن يتجنب ذكر ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث الفضائل، والقَصص الموضوع، والأخبار الإسرائيلية، فإن هذا مما يُذهب بجمال القرآن، ويُشغِل الناس عن التدبر والاعتبار(١).

المبحث الثاني: أهمية دور المفسر في اصلاح المجتمع ونهوض الأمة

ان المفسر لكتاب الله تعالى يعتبر داعية الى دين ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فيجب عليه مراعاة أحوال المخاطبين وما يلائمهم وما يحتاجون إليه لإقامة شؤون دينهم ودنياهم.

ومما تتجلى فيه ضرورة العناية بأحوال المخاطبين ما ثبت من اهتمام السلف بالتعرف عليهم عند جهلهم، وما بينوا من ضرورة العلم بحال المأمور والمنهي والمدعو.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١-استفسار الفاروق رضى الله عنه عن بلد رجلين قبل الاحتساب عليها:

روى الامام ابن كثير عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال (أتدريان أين أنتما؟) ثم قال: (من أين أنتما؟). قالا: (من أهل الطائف) فقال (لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً) ففي هذه القصة سعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى التعرف على الشخصين وذلك بالاستفسار عن موطنهما، قبل اتخاذ الاجراء المناسب للاحتساب عليهما.

٢-استفسار ابن عمر رضى الله عنهما عن أصل رجل قبل بيان الحكم الشرعي له:

وروى الامام مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه رأى رجلا يجر إزاره، فقال (ممن أنت؟) فانتسب له فإذا رجل من بني ليث: معرفه ابن عمر رضى الله عنهما قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين يقول (من جرّ إزاره لا يريد بذلك الا المخيلة فإن الله لا ينظر إلية يوم القيامة).

(١) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٨٣/١

ومما نجد في هذه القصة أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لما رأى المنكر لدى الشخص سعى إلى التعرف عليه، وذلك بالاستفسار عن قبيلته قبل بيان عاقبة فاعل ذلك المنكر.

ومن مقتضيات مراعاة احوال المخاطبين أن يحرص الداعية على اختيار الموضوعات الملائمة لهم.

فيتحدث عن الموضوعات التي هم في حاجة الى معرفتها ويستفيدون من معالجتها، ولا يثير أمامهم الموضوعات التي هم في غنى عنها، ويجب عليه كذلك عند اختيار الموضوعات ومعالجتها مراعاة المستوى العقلي والفكري للمخاطبين. وأن الداعية كالطبيب فلا يقدم للمصاب بمرض السرطان علاج مرض السكري، ولا لمريض السكر علاج مرض الصدر، بل يقدم لكل مريض العلاج المناسب له، ويراعي كذلك عند تقديم العلاج القدر والأسلوب الملائمين لطبيعة المريض كي لا يصير ضرر العلاج أكثر من نفعه. وقد أهتم بهذا كله قدوة الدعاة وإمام الأنبياء وقائد المرسلين رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تجلى هذا في سيرته المطهرة في عدة وجوه، ومن تلك الوجوه:

١-تنويع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في وصاياه الكريمة.

٢-تنويع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الاجابة رغم اتحاد السؤال.

٣-تخصيص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ببعض الأخبار دون الاخرين

وأهتم كذلك بهذا الامر سلفنا الصالح، وتجلى ذلك لديهم في عدة وجوه، منها ما يلي:

١-مراعاة السلف الصالح عقول الناس عند التحدث إليهم.

٢-تأكيد السلف الصالح على ضرورة مراعاة عقول الناس عند التحدث إليهم(١).

المطلب الأول: القرآن كتاب هداية ونجاة للأمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الاسراء: ٩]

ذكر جل وعلا في هذ الآية الكريمة أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين جل وعلا.. "يهدي للتي هي أقوم" أي يهدي للطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب.. وهذه الآية العظيمة أجمل الله عز وجل فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن الكريم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة. والقرآن "يهدي للتي هي أقوم" من هدى كتاب بني اسرائيل الذي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الاسراء: ٢] ففيه إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوام فكل حال هي أقوم في العقائد والأخلاق والاعمال، والسياسات، والصناعات، والاعمال الدينية والدنيوية، فإن القرآن العظيم يهدي إليها أو يأمر بها ويحث عليها.

فأما العقائد: فإن عقائد القرآن هي العقائد النافعة التي فيها إصلاح القلوب وغذاؤها وكمالها، لأنها تملأ القلوب محبة لله تعالى وتعظيماً له وإنابة إليه.

وأما الأخلاق: فإنه يدعو الى التحلي بكل خلق جميل، من الصبر والحلم والعفو، وحسن الخلق، والآداب، وجميع مكارم الأخلاق، ويحث عليها بكل طريق ويرشد إليها بكل وسيلة.

(١) انظر: إلهي، فضل، مراعاة احوال المخاطبين، ص١٢١.

وأما الاعمال الدينية: فإنه يهدي إلى أحسنها من القيام بحقوق الله وحقوق العباد، على أكمل الحالات وأجلها، وأسهلها وأوصلها إلى المقاصد.

وأما السياسيات الدينية والدنيوية: فهو يرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المصالح الكلية ودفع المفاسد، ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته، والعمل بما تقتضيه المصلحة في كل وقت، بما يناسب ذلك الوقت والحال، حتما في سياسة العبد مع أولاده وأهله وأصحابه ومعامليه. فلا يمكن أن توجد حالة يتفق العقلاء أنها أقوم من غيرها وأصلح إلا والقرآن يرشد إليها نصاً أو ظاهراً أو دخولاً تحت قاعدة من قواعده الكلية(١).

فالقرآن منهاج شامل كامل الحياة البشر، ولذا ينبغي أن يعلم يقيناً أن الله تعالى نزل القرآن تبياناً لكل شيء، فهو منهاج عملي يتضمن الأصول الموجهة لحياة الفرد وعلاقته بالرب سبحانه وعلاقته بالكون والحياة من حوله وعلاقته بنفسه وعلاقته بأسرته وجيرانه ومجتمعه وعلاقته بأمته سواء من يسالمون وممن يحاربونه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]

وكذلك هو حياة للمستجيبين له، إذا الحياة النافعة تحصل بالاستجاب لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وأنك كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين الحيوانات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولا شك أن إتباع القرآن الكريم يقود الإنسان إلى الهداية في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وإن كتاباً هذا شأنه هو وحده المتكفل بإسعاد الناس، ولذا نجد المؤمنون في كل ركعة من ركعات صلاتهم – فرضاً كانت أو نفلاً– يسألون ربهم تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم، كما حكى الله تعالى دعائهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر، ولا تكون الطريق صراطا حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود والقرب وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقاً للمقصود. ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة.

فوصفه بالإستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين وكلما تعوج طال وبعد. واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته واضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال، يستلزم تعيينه طريقا"(٢).

ومن اتبع هدى الله المتمثل في القرآن العظيم، لا يعتريه ضلال في هذه الدنيا وينتفي عنه الشقاء في الآخرة والشقاء ضد السعادة.. قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وهذه الهداية إلى الصراط المستقيم تستلزم سعادة الدنيا والآخرة، فقد جمعهما الله تعالى في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ٤١٢/٣.
(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ١٠/١-١١.

فقد نصت الآية الكريمة على السعادة الدنيوية نصاً افاده قوله تعالى ((حياة طيبة)) كما نصت على السعادة الآخروية المستفادة من قوله تعالى: ((ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) فقد ضمن الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة لأهل الايمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة، فلهم اطيب الحياتين وهم احياء في الدارين، ومتاع الآخرة ابقى وانقى قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدراين، فان طيب النفس، وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه وسعته، وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه(١).

فهداية القرآن للناس تتم من خلال كشفه وإنارته لكل الجوانب التي تتعلق بحركة الإنسان الخارجية، وكذلك كل ما يوجد بداخله من جوانب غامضة، واسئلة محيرة، وتصورات خاطئة، يكشفها القرآن الكريم ويوجهها الوجهة الصحيحة، وهو ما يعبر عنه "بسبل السلام" في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥– ١٦].

فالهدف الرئيس إذا للقرآن العظيم هو الوصول بمن يتبعه إلى بر الأمان في كل ما يتعلق به من أمور الدنيا قبل الآخرة.

وفي هذه الآية الكريمة أوضح دليل على أن القرآن الكريم "يخرج كل أمة – آمنت به، وعملت بمقتضاه، واتخذته إماماً وحكماً – من ظلمات الشقاء المادي والروحي إلى نور السعادة الكبرى، حتى تكون أسعد الأمم في حياتها من جميع الوجوه، ولا تكاد تساويها في ذلك أمة أخرى من الأمم المخالفة، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاؤوا بنور القرآن وكل أمة استضاءت به بعدهم"

وخلاصة القول: ان هداية القرآن العظيم هداية شاملة للأمة بكل أفرادها ومرافقها ومجالاتها وحياتها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن روح ولن يهدي إلا ذا روح، والقرآن نور، والله تعالى يهدي بهذا الروح وبهذا النور، وهو الذي شرف رسوله صلى الله عليه وسلم ليهدي بهذا القرآن العظيم إلى صراط الله المستقيم(٢).

(١) ابن القيم، الجواب الكافي، ص٨٤.
(٢) محمد تقي الدين الهلالي، مباحث في القرآن الكريم، ٨٥-٨٦

المطلب الثاني: مقاصد القرآن لإصلاح المجتمع ونجاة الأمة

معنى المقاصد في اللغة:

المقاصد جمع مقصد وقد وردت هذه اللفظة في اللغة بمعان عدة، نأخذ منها ماله صلة بموضوعنا: فقد عرفها أبن فارس بقوله: (القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدهما على "إتيان شيء وأمه" وجاء في لسان العرب: "قال ابن جني أصل (قصد) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجه، والنهود، والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور وهذا أصله في الحقيقة وان كان يخص بعض المواطن بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهم جمعياً "ويقال: إليه مقصدي: وجهتي"(١).

مفهوم "المقاصد" من خلال تعبيرات بعض العلماء:

١-قال الغزالي رحمه الله: "مقصود الشرع من الخلق خمس، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم"(٢).

٢-قال الآمدي رحمه الله: "المقصود من شرع الحكم: إما جلب مصلحة أو دفع مضرة أو مجموع الأمرين"(٣).

٣-قال الشاطبي رحمه الله "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون ضرورية والثاني أن تكون حاجيه والثالث أن تكون تحسينيه" وقال أيضاً: أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية"(٤).

معنى "مقاصد القرآن":

من خلال المعاني اللغوية لكلمة مقصد، وما تبعه من تعبيرات بعض العلماء لمفهوم المقاصد، يمكننا تعريف (مقاصد القرآن) بأنها: ما توجه القرآن نحو تحقيقه أو ما قصد القرآن نحو تحقيقه من أمور معنوية أو مادية كتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وتأمين الضروريات والحاجيات والتحسينيات للمرء في هذه الحياة والحفاظ عليها وتحقيق العدل وما إلى ذلك.

والقرآن تبيان لكل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

"قال ابن مسعود رضي الله عنه وقد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء. وقال مجاهد رحمه الله أكل حلالا وحرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن أشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم"(٥).

فالقرآن حوى كثير من علوم الدنيا – مصداقًا لقول ابن مسعود رضي الله عنه – تصريحاً أو تلميحاً أو اشارة أو إيماء. ولا يزال البحث العلمي في علوم الإنسان، والحيوان، والنبات والثمار، والأرض،

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٠٤/٢ مادة (قصد)، ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٥/٣ مادة (قصد)، المعجم الوسيط، ص٧٣٨.
(٢) محمد الغزالي، المستصفى من علم الاصول، ٤٨٣/٢.
(٣) الآمدي، الاحكام في أصول الاحكام، ٢٧١/٣.
(٤) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ٨/٢، ٣٧
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٠١/٤.

والبحار، والفضاء، والافلاك، والظواهر الكونية، والأرضية يتوصل إلى معلومات حديثة مهمة ذكرها القرآن العظيم قبل قرون طويلة، مما جعل كثيراً من الباحثين الكفار يؤمنون ويهتدون. فكل ما يحتاج إليه البشر لإصلاح حالهم ومعادهم موجود في القرآن بين ذلك ابن عاشور رحمه الله بقوله: "وكل شيء" تفيد العموم، إلا أنه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع: من اصلاح النفوس، واكمال الاخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبين الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الواحدنية، وصدق الرسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم ومنافعهم(١).

أهمية مقاصد القرآن:

إن فهم مقاصد القرآن العظيم، ضرورة دينية وحاجة دعوية:

أما كونه ضرورة دينية: فلأنه بالفهم الصحيح للقرآن يستقيم سلوك المسلم في حياته، ويحرص على العمل به، ويلتزم أحكامه وهديه.

ولطالما أخطأ كثير من المسلمين في تطبيقهم الخاطئ والجزئي للقرآن، فشوهوا بذلك من جمال القرآن العظيم المتمثل في كماله وتوازنه، ووحدة تعاليمه وقل مثل ذلك في إصدار فتاوى سطحية غريبة، وأحكام ظاهرية عجيبة لا تنسجم مع مقاصد القرآن العامة والخاصة، وربما ردت بعض النصوص الشرعية بدعوى الاجتهاد المقاصدي؛ والعمل بروح الشريعة من جهة أخرى.

وأما كونه حاجة دعوية: فلأنه بقدر فهم مقاصد القرآن، وإحسان عرضها يقبل الناس عليه، ويتمسكون بهديه، ويدخلون في دين الله أفواجاً وبقدر غموضها في نفوسهم، يسوء عرضها وتتشوه صورتها، ويضعف تمسك المسلمين بالقرآن، ويعرض عن هديه غيرهم، ولطالما ظهرت آثار ذلك في مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة(٢).

وهنا تأتي عظمة المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن العظيم في هدايته، وهي على النحو التالي:

أولاً: إصلاح العقائد: عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما.

ثانياً: إصلاح العبادات: عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوم الإرادة.

ثالثاً: إصلاح الأخلاق: عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلها وتنفيرهم من رذائلها.

رابعاً: إصلاح الاجتماع: عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم ومحو العصبيات. وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم، وذلك. بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفسٍ واحدة ومن عائلة واحدة، أبوهم آدم وأمهم حواء، وأنه لا فضل لشعب على شعب ولا لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنهم متساوون أمام الله ودينه وتشريعه متكافئون في الأفضلية وفي الحقوق والتبعات، من غير استثناءات ولا إمتيازات وأن الإسلام عقد إخاء بينهم أقوى من إخاء النسب والعصب وأنهم أمة واحدة لا تفرقها الحدود الإقليمية، ولا الفواصل السياسية والوضعية: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص٢٢٥.

خامساً: إصلاح السياسة أو الحكم الدولي: عن طريق تقرير العدل المطلق والمساواة بين الناس ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات: من الحق، والعدل، والوفاء بالعهود، والرحمة، والمواساة والمحبة، واجتناب الرذائل: من الظلم والغدر ونقض العهود والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل: كالرشوة والربا والتجارة بالدّين والخرافات.

سادساً: الإصلاح المالي: عن طريق الدعوة إلى الاقتصاد، وحماية المال من التلف والضياع، ووجوب انفاقه في وجوه البر، وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع.

سابعاً: الإصلاح النسائي: عن طريق حماية المرأة واحترامها، واعطائها جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

ثامناً: الإصلاح الحربي: عن طريق تهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة، لخير الانسانية في مبدئها وغايتها، ووجوب التزام الرحمة فيها والوفاء بمعاهداتها.

تاسعاً: محاربة الاسترقاق: عن طريق تحرير الرقيق الموجود بطرق شتى منها الترغيب العظيم في تحرير الرقاب، وجعله كفارة القتل وللظهار، ولإفساد الصيام بطريقة فاحشة، ولليمين الحانثة، ولا إيذاء المملوك باللطم او الضرب.

عاشراً: تحرير العقول والافكار عن طريق منع الاكراه، والاضطهاد، والسيطرة الدينية القائمة على الاستبداد والغطرسة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢][1].

ان اعداد الامة أفراداً وجماعة، والعمل على نقلها السريعة من وضع متردٍ إلى وضع اسمى وافضل وأقوم، ليس بالأمر الهين اليسير، بسبب إصرار الناس على ما ألفوه وورثوه فيصبح جزءاً من حياتهم، فيحتاج الأمر إلى التدرج بهم من حال إلى حال، لتحسين أوضاعهم في جميع المجالات. ولهذا جاء القرآن العظيم منهج تربية للمسلمين، فأيقظ فيهم عوامل الخير وبواعث العقل، وحول طاقتهم وبدل أحوالهم، ووجههم توجيهاً عالياً وقويماً، فانتقلت الأمة من حال الضعف إلى حال القوة، ومن حال المرض إلى الصحة ومن التخلف والتفرق والضياع إلى ذروة التقدم والوحدة والوئام والتعاون، حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس. ولم يأت الأمر من فراغ بل كان القرآن العظيم يوجه أفراد المجتمع الاسلامي في جميع مجالات التربية: العقيدية والعبادية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والسياسية. ولا يوجد كتاب في التربية – قديماً كان أو حديثاً – يحوي الثروة التربوية العظمى في الأهداف والمحتويات والأساليب، مقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاتزان كالقرآن العظيم. فهو يحوي – بين دفتيه – جميع عناصر التربية الصالحة للمسلمين وكل كلمة فيه تعد توجيهاً تربوياً لإنشاء "المسلم الصالح" في هذه الأرض.

فمن هدى القرآن للتي هي أقوم، هدايته إلى حل المشكلات العالمية بأقوم الطرق وأعدلها. ومن أهم مقاصده: إصلاح أفراد البشر وجماعتهم وأقوامهم، وادخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوتهم الإسلامية ووحدتهم، وترقية عقولهم، وتزكية أنفسهم وتعايشهم مع بعضهم بالسلم والسلام المجتمعي العالمي، فهو كتاب الله الخالد والمصلح لشؤون الخلق لسعادتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ٣٢٢/٢-٣٢٣.

المطلب الثالث: نشأة التفسير وتتطور حركته التاريخية إلى عصرنا وأثرها على المفسر

تدرَّج التفسير المأثور في دوريه – دور الرواية ودور التدوين– أما في دور الرواية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه ما أشكل عليهم من معاني القرآن، فكان هذا القَدْر من التفسير يتناوله الصحابة بالرواية بعضهم لبعض، ولمن جاء بعدهم من التابعين. ثم وُجد من الصحابة مَنْ تكلم في تفسير القرآن بما ثبت لديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بمحض رأيه واجتهاده، وكان ذلك على قِلَّة يرجع السبب فيها إلى الروعة الدينية التي كانت لهذا العهد، والمستوى العقلي الرفيع لأهله، وتحدد حاجات حياتهم العملية، ثم شعورهم مع هذا بأن التفسير شهادة على الله بأنه عَنِى باللفظ كذا.

ثم وُجِد من التابعين مَنْ تصدَّى للتفسير، فروى ما تجمَّع لديه من ذلك عن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة، وزاد على ذلك من القول بالرأي والاجتهاد، بمقدار ما زاد من الغموض الذى كان يتزايد كلما بَعُدُ الناس عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة. ثم جاءت الطبقة التي تلى التابعين وروت عنهم ما قالوا، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من غموض... وهكذا ظل التفسير يتضخم طبقة بعد طبقة، وتروى الطبقة التالية ما كان عند الطبقات التي سبقتها(١).

ولقد مرت حركته التفسير بأربع مراحل في مسيرتها التاريخية، كما لخصها لنا علماء التفسير والمحققون المعاصرون:

المرحلة الأولى: التفسير في طور التأسيس

هذه هي المرحلة الأساسية التي نشأ فيها التفسير نشأة علمية صحيحة واتصف التفسير في مرحلة التأسيس والتمهيد بالعلم والمنهجية والموضوعية.

المرحلة الثانية: التفسير في طور التأصيل

بعد أن تأسس التفسير في المرحلة السابقة تأسيسا متينا، ونشأ نشاة منهجية صحيحة انتقل إلى الطور الثاني، الذي هو خطوة منطقية موضوعية، وهو التأصيل الموضوعي لعلم التفسير، ليكتسب الأصالة الدقيقة الثابتة، وكانت في نهاية القرن الثالث الهجري، ومن فرسانها إمام المفسرين بدون منازع، محمد بن جرير الطبري رحمه الله.

المرحلة الثالثة: التفسير في طور التفريع:

انتقل المفسرون بعد الطبري بالتفسير إلى التفريع والتنويع حيث ساروا في مسار جديد غير منهج الطبري، وصاروا يتوسعون ويستطردون في تفاسيرهم، ويوردون الكثير من المسائل والمباحث التي لا تتصل في التفسير تصالاً وثيقًا، وبهذا انتقل المفسرون من التأصيل المنهجي إلى التفريع التثقيفي.

المرحلة الرابعة: التفسير في طور التجديد:

بقي المفسرون في طور التجديد لعلم التفسير يفرعون ويتوسعون في تفاسيرهم، كل وفق المدرسة التي انتمى إليها، وعلى أساس التخصص الذي مهر فيه، وبقوا يفسرون على أساس المنهج الغالب في التفسير حتى جاء العصر الحديث.

(١) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ١/١٠٥-١٠٦

ونرى أن التفسير في العصر الحديث قد انتقل إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة التجديد، ونعني بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الإبداع والتحسين والجدة، ولا نعني به الخروج على القواعد والضوابط والأسس، والإنفلات والفوضى، والقول في القرآن وفق الهوى، وتحريف معاني الآيات ودلالاتها، لتوافق مقررات الغربيين أو الشرقيين.

ويبدأ العصر الحديث في التفسير بظهور الإمام محمد عبده، الذي أرسى أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير، وقد نخالفه في بعض توجهاته وأفكاره في مدرسته التفسيرية، لكننا نسلم أن محمد عبده قد أحدث هزه وتجديدا في الطرق السابقة للتفسير، وكان لمحمد عبده تلاميذ في التفسير اخذوا منهجه والتزموا به مع بعض إضافات منهم، وفي مقدمه هؤلاء الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ أحمد مصطفى المراغي(١).

وبدأت مؤلفات التفسير المتأخرة أولاً على هيئة محاولات فهم شخص، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولا ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وُجِد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعْدٍ عظيم.

وكذلك وُجِد مِنَ العلماء مَن ضيَّق دائرة البحث في التفسير، فتكلَّم عن ناحية واحدة من نَواحيه المتشعبة المتعددة، فابن القيم – مثلاً – أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن سماه "التبيان في أقسام القرآن". وأبو عبيدة أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن والراغب الأصفهاني أفرد كتاباً في مفردات القرآن. وأبو جعفر النحاس أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن. وأبو الحسن الواحدي أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن. والجصاص أفرد كتاباً في أحكام القرآن.. وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن يجمعون ما تفرَّق منه، ويفردونه بالدرس والبحث.

ثم إنَّا نجد متقدمي المفسِّرين قد توسَّعوا في التفسير إلى حد كبير، جعل مَن جاء بعدهم من المفسِّرين لا يلقون عنتاً، ولا يجدون مشقة في محاولتهم لفهم كتاب الله، وتدوين ما دوَّنوا من كتب في التفسير، فمنهم مَن أخذ كلام غيره وزاد عليه، ومنهم من اختصر، ومنهم مَن علَّق الحواشي وتتبع كلام من سبقه، تارة بالكشف عن المراد، وأخرى بالتفنيد والاعتراض، ومع ذلك فاتجاهات التفسير، وتعدد طرائقه وألوانه. ما تزل على ما كانت عليه، متشعبة متكاثرة. أما في عصرنا الحاضر، فقد غلب اللون الأدبي الاجتماعي على التفسير، ووُجِدت بعض محاولات علمية حيث ظهرت أنواعاً للتفسير تقتضيها حاجة الناس لها ومنها: التفسير الموضوعي والتحليلي والمقارن وغيرها. هذا هو شأن التفسير في مراحله المختلفة وتدوينه، وهذه هي خطواته التي تدرج فيها من لدن نشأته إلى عصرنا الحاضر(٢).

(١) انظر: الخالدي، التفسير الموضوعي، ص٢٢-٢٩، (بتصرف يسير).
(٢) الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٠٣/١، بتصرف يسير.

المطلب الرابع: أهمية دور المفسر في توجيه التفسير لإصلاح المجتمع ونهوض الأمة

عندما صنف العلماء وأهل التفسير وعلم التفسير من حيث مناهجه كان لهم تصنيفاً أكثر شمولاً فجعلوا التفسير اما موضعي (تحليلي) يرجع منه المفسر إلى موضوع واحد من القران متتبعاً ترتيب الآيات في سورها واما موضوعي يلتزم فيه المفسر موضوعاً لا موضعاً بعينه فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها ويقيم منها بناء متكاملاً يقرر موقف القران من قضية ما.

قلت: وقد سار المفسرون السابقون بذلك المنهجين وان لم يكن التناول للآيات بهذه المصطلحات التفسيرية التي قعدت مؤخراً، وسيعرض الباحث في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة أدلة توضح ذلك من خلال اختياره لبعض المفسرين ومناهجهم الإصلاحية لمجتمعاتهم وأمتهم من خلا تفاسيرهم، (الجانب الاستقرائي التطبيقي للدراسة).

وكلا المنهجين والنوعين (الموضوعي، والوضعي) مرحلتان متكاملتان وخطوتان متتاليتان متدرجتان إذ التفسير الموضعي شرط للتفسير الموضوعي وهو تمهيد له فلا بد ان يسبقه.

أي ان التفسير الموضعي هو التمهيد واللبنات الأولى المتفرقة للتفسير الموضوعي المتكامل، ويأتي بعده التفسير الموضوعي الذي يقدم للمسلمين فكراً وحضارةً وحلولاً قرآنية لمشكلات واقعية، وحقائق قرآنية عن قضايا اجتماعيه وحضارية.

كذلك ويحسن الصلة بين الواقع وبين القران ويدرك إيحاءات القران الواقعية، ويصلح الواقع على هدى القران، فهو يبدأ من حسن تشخيص حاجات الواقع وينتهي إلى حسن تقديم العلاج القرآني لهذا الواقع.

إن توجيه التفسير لمعالجة أهم قضايا الامة يعد من التفسير الموضوعي الذي ظهر مؤخراً كعلم جديد للمستقبل ولذا أقبل الباحثون والكاتبون المعاصرون على القران الكريم ووقفوا وقفات مطولة وكان مما دفع المفكرين والباحثين والمفسرين إلى الإقبال على القران والكتابة في موضوعاته، الظرف الخاص الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر وكذلك وجود حركات ودعوات وجماعات إسلامية تعمل على استئناف الحياة الإسلامية من جديد بعد ظهور هجمات أعداء الإسلام لتشويه مصادر التراث الإسلامي الأصيل (الكتاب والسنة) وانتشار أفكار مناقضة القران الكريم بين المسلمين.

وتوجيه التفسير لمعالجة اهم قضايا الامه من العلماء السابقين وان كان لم يتناول بالمنهج والطريقة التي وضعها وأصلها العلماء المعاصرون للتفسير الموضوعي الا انها تعد من التفسير الموضوعي لحل اهم قضايا مجتمعهم وأمتهم[1].

وبالنسبة إلى فهم طبيعية الانسان والسنن التي تحكمه فان من المفيد جداً أن نعمق النظر في كتاب الله تعالى حيث ذكر سبحانه الكثير مما يتعلق بميول الإنسان وغرائزه وتطلعاته واتجاهاته الكبرى ونجد شيئاً من ذلك في السنة النبوية، فعلينا ان ندرب أنفسنا على التقاط الإشارات الذكية التي يطلقها بعض المفكرين والعلماء ولا سيما المفسرون ثم نقوم بالتأمل والبحث والحوار من اجل اثرائها بالتطبيقات، فإذا قال احد المفكرين مثلاً ان الصداقة مثل حديد التسليح لها طاقة محدودة على التحمل واذا حملناها فوق طاقتها كالإكثار من طلب الخدمة من الاصدقاء أو كثرة معاتبتهم فإننا نخسرها كما نخسر حديد التسليح اذا حملناه فوق طاقته وذلك حين يلتوي ويفقد وظيفته.

(١) انظر: الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظري والتطبيق، ص٤٦-٥٠.

فالتأمل الشخصي مهم في فهم طبائع الاشياء وسنن الله تعالى في الخلق حيث ان من لديه حظ حسن من المعرفة وعنده شيء من الخبرة والتجربة في الحياة يستطيع ان يستخلص الكثير من المقولات والمفاهيم والارشادات التي تدل على الكثير من النظم والقوانين التي تحكم حياتنا الخاصة والعامة(١).

أراد الله في القرآن بالإنسان أن يضعه في الموضع الذي أراده له من موقع التكريم. الإنسان الذي يؤمن بالأسرة الإنسانية، والشعور بالمسؤولية، إن القرآن يعطي القرن الواحد والعشرين إنسانه الذي ليس من إنسان أصح منه ولا أصلح لزمانه، فإذا آمن هذا الإنسان بالله وبالنبوة، فليس أصح ولا أصلح لعصر الوحدة الإنسانية من الإيمان برب واحد للعالمين، ونبوة تختم النبوءات – بعد الإيمان بهذا الإله الواحد– لتسلمه إلى عقله وضميره، وتسأله عن إصلاح نفسه وإصلاح دنياه بما يدعوه إليه قوام الروح والجسد وطيب الحياة في الدنيا والآخرة(٢).

وتأتي أهمية التفسير كعلم – قديم حديث – معاصر كأهمية كبرى عند المسلمين وحاجتهم إليه في إصلاح المجتمع ونهوض الأمة، ويمكن أن نجمل هذه الأهمية بما يلي:

١–يعد التفسير من العوامل الاساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة عديدة، ومن المتفق عليه أيضاً أن حل هذه المشكلات اساسا في القرآن وعندما ينقب الباحثون في القرآن فإنهم يقدمون الحلول القرآنية لمشكلاتهم لاصلاح مجتمعهم والنهوض بأمتهم.

٢–أصبح التفسير ولا سيما الموضوعي وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديماً علميا منهجياً لإنسان هذا العصر.

٣–التفسير لآيات القرآن وتحليلها كفيل ببيان مدى حاجة الانسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى الاسلام والقرآن خصوصاً واقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته الحضارية والتنموية.

٤–يجب أن ينحو التفسير ولاسيما الموضوعي في عرض الآيات وتحليلها ودراستها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية وتهتم بمسلمين أحياء متحركين وهذا هو البعد الحي للقرآن الكريم.

٥–ان تفسير القرآن يعد أساساً للتأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الانسانية والحضارية المختلفة التي يقبل عليه المثقفون في هذا العصر، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية والثقافة والحضارة والإنسانية والتقدم.

٦–يعد التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين، فمن خلال البحث في موضوعات القرآن يقوم الباحث برياضة عقلية عملية يشحذ بها ذهنه ويمرن بها عقله ويدرب بها نظراته وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعي فيكون مفكر قرآنياً وباحثاً موضوعياً يعطي للأمة حلولاً قرآنية لقضاياها المعاصرة.

(١) عبدالكريم بكار، كيف نفهم الاشياء من حولنا، ص١٤.
(٢) انظر: محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، بتصرف يسير، ص١٥٨.

٧-بالتفسير الموضوعي يتم تقديم مناهج الدعوة والحركة والاصلاح، ويتعرف الدعاة والعاملون للإسلام على حقائق القرآن في فقه الدعوة والجهاد والتغيير.

٨-ومن الملحوظ في التعبير القرآني استخدام كلمة الحكمة بعد كلمة الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، [آل عمران: ١٦٤]، حيث اجتمعا في الآية الواحدة مما يدل على أنه لا بد للحكمة وللعقلانية من أن تؤطر بإطار الكتاب (الوحي) حيث يكتسب المرجعية العليا والمصداقية الحاسمة، ويمثلا أرضية مشتركة في تعايش الإفراد والأمم وفي صياغة الخطوط العريضة لفهم الحياة والأحياء. (ينظر: الخالدي، التفسير الموضوعي ص ٥٦، ٥٨ (بتصرف يسير)، عبدالكريم بكار، عصرنا والعيش في زمانه ص١٣٦، مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ص٧٨).

المبحث الثالث: نماذج لمناهج تفسير عالجت قضايا الأمة (الجانب التطبيقي)

ويأتي الباحث هنا للجانب الاستقرائي التطبيقي، ليعرض نماذج من تفاسير وجهها مفسروها لإصلاح مجتمعهم ونهضة أمتهم، بحيث كانت منوعة للمناهج والأساليب التي سلكوها والأزمنة التي عاشوا فيها ليدلل الباحث عن أهمية المفسر في توجيه تفسيره لإصلاح مجتمعه ونهوض أمته بمختلف العصور.

المطلب الأول: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني

ترجمته:

فعلم من أعلام الاسلام في يمن الإيمان وهو الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الصنعاني، أما الشوكاني: فهو نسبة إلى هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وأما الصنعاني فنسبة إلى مدينة صنعاء التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته.

ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر القعدة سنة (١١٧٣هـ) ثلاث وسبعين ومائة وألف بمحل سلفه وهو هجرة شوكان.

وقد كان بمنهجه وسيرته وجهوده في خدمة الاسلام ومؤلفاته القيمة وأفكاره التي عادت لصاحبها إلى ما كان عليه السلف الصالح وتحرره من ربقة التقليد ودعوته الصادقة إلى العودة لينابيع الإسلام الأصيلة (الكتاب والسنه وإجماع الأمه) لما كان زمانه مليئاً بالجهل والعصبية والمذهبية.

تفقه رحمه الله على مذهب الزيدية، وبرع فيه، وألَّف وأفتى. ثم خلع ربقة التقليد، وتحلَّى بمنصب الاجتهاد، وألَّف رسالة سماها "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد"، تحامل عليه من أجلها جماعة من العلماء، وأرسل إليه أهل جهته سهام اللوم والمقت، وثارت من أجل ذلك فتنة في صنعاء اليمن بين مَن هو مُقَلِّد ومن هو مجتهد. وعقيدة الشوكاني عقيدة السَلَف، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسُنَّة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف، وقد ألَّف في ذلك رسالة "التحف بمذهب السَلَف". هذا وقد توفى الشوكاني رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ (خمسون بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية)، فرحمه الله وأرضاه.

منهجه ودوره في إصلاح مجتمعه

وطريقة الشوكاني التي سلكها في تفسيره يكفينا في بيانها عبارته التي ذكرها في مقدمة هذا التفسير مبيناً بها منهجه فيه. قال رحمه الله: "ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة، وها أنا أوضح لك منارها، وأبين لك إيرادها وإصدارها، فأقول: إن غالب المفسِّرين تفرَّقوا فريقين، وسلكوا طريقين، الفريق الأول: اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر: جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللُّغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً، وإن جاءوا به لم يصلحوا لها أساساً، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب". ثم قال بعد أن دلل على قوله هذا: "وبهذا يُعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذى وطنت نفسى عليه، والمسلك الذى عزمت على سلوكه إن شاء الله، مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه، وأخذى من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، أو الأئمة المعتمدين..... فهذا التفسير وإن كبر حجمه فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فرائد، وقواعد شرائد، ثم أرجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو اللُّباب، وعجب العُجاب، وذخيرة الطُلاب، ونهاية مآرب أُولى الألباب... وقد سميته "فتح القدير، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير"[(١)].

وقد عمل الشوكاني جاهداً لإصلاح مجتمعه، وذلك في ذمه للتقليد والمقلِّدين ومعالجة هذه الظاهرة وظاهرة التعصب والتقليد التي انتشرت في زمنه وعانى منها من أقرانه ومجتمعه. كذلك نلاحظ على الشوكاني أنه لا يكاد يمر بآية من القرآن تنعى على المشركين تقليدهم آباءهم إلا ويطبقها على مقلِّدي أئمة المذاهب الفقهية، ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله، مُعْرِضون عن سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم[(٢)(٣)].

المطلب الثاني: محاسن التأويل للقاسمي

ترجمته

محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط (١٢٨٣هـ-١٣٣٢هـ) إمام الشام في عصره، عالمُ بالدين متضلع في فنون الأدب، ولد وتوفي في دمشق، إنتدبته الدولة للرحلة، وإلقاء الدروس في القرى والبلاد السورية، أقام في ذلك أربع سنوات ثم رحل إلى مصر، زار مكة والمدينة، وكان سلفي المذهب، وعرف عنه عفة اللسان والقلم.

له مؤلفات عدة منها: قواعد التحديث، موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين، الفتوى في الإسلام، وفلسفة الإسلام في الجن، وتفسيره محاسن التأويل[(٤)].

(١) انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٢٠/٢.
(٢) انظر: الشرجبي، الأمام الشوكاني حياته وفكره، الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المقدمة.
(٣) للباحث دراسة توسع فيها حول هذا الموضوع بعنوان: منهجية الشوكاني في نبذ التعصب والتقليد من فتح القدير.
(٤) أنظر: الأعلام للزركلي، ١٣٥/٢.

منهجه ودوره في إصلاح مجتمعه

ومن التفاسير المعاصرة التي فيها تجديد وتطوير وإضافات: محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي[١].

يعرف هذا التفسير بتفسير القاسمي، طبع في سبعة عشر مجلدا، وجعل المجلد الأول مقدمة لتفسيره ذكر فيه قواعد وفوائد تعين على معرفة التفسير وتطلع على بعض أسراره ودقائقه.

وفي هذا التفسير كثير من النقول الطويلة عن علماء السلف وكثيرًا ما يستشهد رحمه الله تعالى بالأحاديث الصحيحة ويرجع في اللغة إلى كتبها، وعاب عليه بعض النقاد كثرة النقول وزعموا أن الرجل ليس لديه رأي شخصي، والذي حمله على ذلك أن البدع انتشرت وعمت حتى صار لها أتباع وحتى صار لها من المنتسبين إلى العلماء من يدافع عنها ويحارب من يحاربها، فلما ألف الشيخ تفسيره أدرك أن أقواله لن يكون لها من القيمة ما لأقوال الأئمة السابقين، فكان ينتقي من أقوال السلف ما فيه علاج لأمراض مجتمعه[٢].

المطلب الثالث: تفسير القرآن لمحمد عبده

اللَّون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر

اللَّون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر وأثره في التفسير: يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللَّون الأدبي الاجتماعي، ونعنى بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف. الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظُم العمران.

وإذا كان هذا اللَّون الأدبي الاجتماعي يعتبر في نظرنا عملاً جديداً في التفسير، وابتكاراً يرجع فضله إلى مُفسِّري هذا العصر الحديث، فإنَّا نستطيع أن نقول بحق: إن الفضل في هذا اللَّون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. هذه المدرسة التي قام زعيمها – ورجالها من بعده – بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة.

نعم.. قامت هذه المدرسة للتفسير بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى. مجهود نحمد لها الكثير منه، لأنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسِّرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤوِّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التي زُجَّ بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط. ثم إن هذه المدرسة، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن

(١) انظر: الخالدي، التفسير الموضوعي، ص٢٨.
(٢) انظر: فهد الرومي، مباحث في أصول التفسير، ص١٥٨.

وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة، ووفَّقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذى يستطيع أن يساير التطور الزمنى والبَشرى، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ودفعت ما ورد من شُبَه على القرآن، وفنَّدت ما أُثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق .. كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولى على قلبه، ويُحَبب إليه النظر في كتاب الله، ويُرَغبه في الوقوف على معانيه وأسراره.

وإن أهم من يمثل هذا اللون من التفسير هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، والمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى. وهما خير مَن أنجبت هذه المدرسة، وخير من ترسَّم خُطا الأستاذ الإمام، وسار على منهجه وطريقته في التفسير[1].

تفسير الشيخ محمد عبده

ترجمته

محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني (١٨٤٩- ١٩٠٥م)، مفتي الديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح، والتجديد في الإسلام، تعلم بجامع الأحمدي بطنطا والأزهر، تصوف وتفلسف وعمل في التعليم وكتب في الصحف، أجاد اللغة الفرنسية، ناوئ الإنجليز في احتلال مصر، وشارك في مناصرة الثورة العربية، حبس ونفي إلى الشام، أصدر مع أ. جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، تولى منصب القضاء، ومستشاراً ومفتياً للديار المصرية، توفي بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة، من كتبه: تفسير في القرآن، ورسالة في التوحيد[2].

منهجه ودوره في إصلاح مجتمعه

إذا نحن ذهبنا نستقصي ما أنتجه لنا الأستاذ الإمام من عمل في التفسير، فإنَّا نجد له تفسيره المشهور لجزء "عم" ذلك التفسير الذى ألَّفه بمشورة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية، ليكون مرجعاً لأساتذة مدارس الجمعية في تفهيم التلاميذ معانى ما يحفظون من سور هذا الجزء، وعاملاً للإصلاح في أعمالهم وأخلاقهم، ولقد أتم الأستاذ الإمام تفسير هذا الجزء في سنة ١٣٢١هـ، ببلاد المغرب، وبذل جهده كما يقول: "في أن تكون العبارة سهلة التناول، خالية من الخلاف وكثرة الوجوه في الإعراب، بحيث لا يحتاج في فهمها إلا أن يعرف القارئ كيف يقرأ، أو السامع كيف يسمع، مع حسن النية وسلامة الوجدان". وهو وإن كان إنتاجاً يُعَد قليلاً بالنسبة لهذه الشخصية البارزة، إلا أنه – والحق يقال– كان له أثر بالغ في تطور التفسير واتجاهاته في العصور المتأخرة[3].

(١) انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٨٠/٣.
(٢) انظر: الأعلام للزركلي، ٢٥٠/٦.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٨٤/٣.

معالجته للمسائل الاجتماعية:

ثم إنّا نجد الأستاذ الإمام لا يكاد يمر بآية من القرآن، يمكنه أن يأخذ منها علاجاً للأمراض الاجتماعية، إلا أفاض في ذلك بما يُصَوِّر للقارئ خطر العِلَّة الاجتماعية التي يتكلم عنها، ويُرشده إلى وسيلة علاجها والتخلص منها، كل هذا يأخذه الأستاذ الإمام من القرآن الكريم، ثم يُلقى به على أسماع المسلمين وغير المسلمين، رجاء أن يعودوا إلى الصواب، ويثوبوا إلى الرشاد. فمثلاً عندما تعرَّض لقوله تعالى في الآية [٣] من سورة العصر من التفسير المطوَّل لها: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] نجده يقول: "والصبر مَلَكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضا بما يكره في سبيل الحق. وهو خُلُق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق، وما أُتِيَ الناس من شيء مثل ما أُتوا من فقد الصبر أو ضعفه. كل أُمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها. ضعف فيها كل شيء، وذهبت منها كل قوة، ولنضرب لذلك مثلاً: نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين اليوم، إذا دققت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر، فإن مَن عرف باباً من أبواب العلم، لا يجد في نفسه صبراً على التوسع فيه، والتعب في تحقيق مسائله، وينام على فراش من التقليد هَيِّن لَيِّن، لا يكلفه مشقة، ولا يجشمه تعباً، ويسلى نفسه عن كسله بتعظيم مَن سبقه، ولو كان عنده احترام حقيقي لسَلَفه، لاتخذهم أُسوة له في عمله، فحذا حذوهم، وسلك مسلكهم، وكلَّف نفسه بعض ما حملوا أنفسهم عليه، واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بمعصومين. "ثم هو إذا تعلَّم لا يجد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم، وحملهم على عرفان ما يعرف، ولا جلداً على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده، بل متى لاقى أول معارضة قبع في بيته وترك الخلق للخالق كما يقولون. "يجلس الطالب لدرسه سنة أو سنتين، ثم تعرضه مشقة التحصيل، فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له، فينقطع عن الطلب، ويذهب في الجهل كل مذهب، وكل هذا من ضعف الصبر. "يبخل البخيل بماله، ويجهد نفسه في جمعه وكنزه، وتعرض له وجوه البر فيعرض عنها، ولا يُنفق درهماً في شيء منها، فيؤذى بذلك وطنه وملَّته، ويترك الشر والفقر يأكل قومه وأُمته، ولو نظرنا إلى ما قبض يده لوجدناه ضعف الصبر، لما أُصيب بذلك المرض القاتل له ولأهله.

يُسرف المسرف في الشهوات، ويتهتك المتهتك في المنكرات، حتى ينفد المال، وتسوء الحال، ويستبدل الذل بالعز، والفقر بالغنى، ولا سبب لذلك إلا ضياع صبره في مقاومة الهوى، وضبط نفسه عن مواقع الردى، ولو صبر في مجاهدة تلك النزعات لما كان قد خسر ماله، وأفسد حاله.. وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل، وأبحث عن عللها الأولى، لوجدتموها تنتهي إلى ضعف الصبر أو فقده. ولو سردتَ جميع الفضائل وطلبتَ ينبوعها الذي تستمد منه حياتها لما وجدتَ لها ينبوعاً سوى الصبر، أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يُخَص بالذكر". ثم يبين بعد ذلك وسائل الدعوة إلى الخير فيقول: "... يجب على العلماء ومَن يتشبه بهم، أن يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما تدعو إليه الحال، على حسب الأزمان واختلاف أحوال الأُمم، وأول ما يجب عليهم في ذلك أن يتعلموا التاريخ الصحيح، وعلم تكوين الأُمم، وارتفاعها وانحطاطها، وعلم الأخلاق وأحوال النفس، وعلم الحس والوجدان، ونحو ذلك مما لا بد منه في معرفة مداخل الباطل إلى القلوب، ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق، وسُبُل التقريب بين اللَّذة والمنفعة الدنيوية والأُخروية، ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير، فإن لم يحصلوا على ذلك كله فوزر العامة عليهم[1].

(١) انظر: المرجع السابق، ٣٩١/٣.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ثم الصلاة والتسليم على إمام المرسلين وعلى أله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وبعد..

وخلصت هذه الدراسة إلى نتائج نبدأ بها وتوصيات ومن أهمها:

- التفسير رأس العلوم الإسلامية وأولها ظهروا حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر للصحابه ما دق معناه واستشكل عليهم، فكان عليه الصلاة والسلام إمام المفسرين وأولهم تفسيراً.
- المفسر الذي تتحقق فيه صفات وشروط المفسر وتمكنه من علوم ألآله لتفسير يقدم للأمة فكرا وحضارة، وحلولا قرآنية لمشكلات واقعية ويقدم حقائق قرآنية عن حلول مناسبة لقضايا اجتماعية وحضارية.
- كشفت الدراسة عن الدور المهم للمفسر في إصلاح مجتمعه، والنهوض بأمته.
- بينت الدراسة ضرورة تمكن المفسر من علوم ألآله وتحليه بصفات قرآنية ذاتية التي تتطلبها هذه المهمة الشريفة.
- وقفت الدراسة على نماذج من المفسرين الذين كان لهم دور مبارك في إصلاح مجتمعاتهم ومعالجه أهم القضايا فيها.
- وجوب عودة الأمة إلى المصدر الأول للشريعة (القرآن الكريم) الذي فيه سعادتهم وإصلاح شؤون حياتهم.
- موضوع القرآن وهدفه هو الإنسان حيث يدعوه ويوصلوه إلى المنهج الصحيح لنجاحه وسعادته وصلاح دينه ودنياه.
- من عظمة المقاصد القرآنية، شمولها وخلودها وصلاحها للخلق.
- أهمية الدراسات التفسيرية وتوجيهها لمعالجه أهم قضايا المجتمعات.
- الكشف عن مهمة أهل التفسير ومكانتهم في المجتمع وتمكنهم بمعرفة أكثر العلوم الشرعية والاجتماعية.
- على المفسر أن يدخل عالم القرآن بدون مقرر فكري مسبق، وأن يجرد نفسه من الميل بعينه، حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن على حسب رأيه ومذهبه، ولا يزيغ بالقرآن عن منهجه الواضح، وطريقه المستقيم.
- دور المفسر البارز في خدمة كتاب الله رواية ودراية.

وختاماً إن كان هناك من توصيات تعزز من هذه الدراسة وتشد من أزرها:

- دعوة الى الاهتمام بتجدد حركة التفسير لان القرآن صالح لكل زمان ومكان.
- الدراسات التفسيرية في التأليف للتفسير لها حاجة ملحه في هذا العصر.
- أهمية الدراسات التفسيرية، وتوجهها لمعالجة أهم قضايا المجتمعات لنهوض الأمة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وله الحمد والمنة سبحانه، فأسأل الله رحمته ومغفرته، فهو سبحانه خير مسؤول وعليه التكلان.

المراجع:

الآمدي، علي بن محمد(١٤٠٢هـ). **الاحكام في أصول الاحكام**، ط٢، المكتب الاسلامي: بيروت.

الأزهري، محمد ابن أحمد ابو منصور، **تهذيب اللغة**، القاهرة.

إلهي، فضل (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). **من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة**، ط٢، مؤسسة الجريسي: الرياض.

بكار، عبد الكريم، **الرحلة إلى الذات (عصرنا والعيش في زمانه صعب)**، دار القلم: دمشق.

بكار، عبد الكريم (٢٠٠٩م). **هي هكذا كيف نفهم الأشياء منة حولنا**، ط١، دار السلام: القاهرة.

الحامدي ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع: جدة.

الجديع، عبد الله بن يوسف (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م). **المقدمات الاساسية في علوم القرآن**، ط٢، مؤسسة الريان: بيروت.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، ط١، دار الكتاب العربي: بيروت.

الجرمي، إبراهيم محمد (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). **معجم علوم القرآن**، ط١، دار القلم: دمشق.

الذهبي، د. محمد حسين، **التفسير والمفسرون**: ت: أحمد الزعبي، دار الأرقم: بيروت، لبنان.

الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، دار المنار.

رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات الفكر العربي والاسلامي الحديث والمعاصر**، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (١٤٢٢هـ). **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط٦، مكتبة التوبة: الرياض.

الزرقاني، محمد عبد العظيم (١٤٢٢هـ). **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط١، المكتبة العصرية: بيروت.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). **البرهان في علوم القرآن**: ط١.

الزركلي، خير الدين (٢٠٠٣م). **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين: بيروت.

سيد قطب، (١٤٠٧هـ). **في ضلال القرآن**، ط٣، دار الشروق: القاهرة.

السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الثقافية: بيروت.

الشاطبي، ابراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار الكتب العلمية: بيروت.

الشرجبي، عبد الغني قاسم غالب، **الأمام الشوكاني حياته وفكره**، مؤسسة الرسالة: بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي محمد (ت:١٢٥٠هـ). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، د.ط، د.ت.

الشوكاني، محمد بن علي، **الدراري المضية شرح الدرر البهية** ت: محمد صبحي بن حسن حلاق ط٢، مكتبة الإرشاد: صنعاء.

الشوكاني، محمد علي محمد (ت:١٤١٨هـ-١٩٩٧م). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**.

الشنقيطي، محمد الأمين (١٤٠٨هـ). **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، ط١، مكتبة ابن تيمية: القاهرة.

الصياح، علي بن عبد الله (١٤٧٢هـ- ٢٠٠٦م). **الداعية البصير في ضوء الكتاب والسنة**، ط٢، مدار الوطن: الرياض.
ابن عاشور، محمد الطاهر (١٤٢٠هـ). **التحرير والتنوير**، ط١، مؤسسة التاريخ: بيروت.
عبد الفتاح، إبراهيم أحمد (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م). **القاموس القويم للقرآن الكريم**، ط١، دار الكلمة: المنصورية.
العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل ابو هلال، **الفروق في اللغة**، ط٣، دار الآفاق: بيروت.
الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**، ط١، دار الوفاء، المنصورة.
الغماري، محمد حسن بن أحمد، **"الإمام الشوكاني مفسرا"**. (نسخة الكترونية)
ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.
الفيروز آبادي (١٤١٢هـ-١٩٩١م). **القاموس المحيط**: ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
ابن قدامه، موفق الدين عبدالله بن أحمد، **روضه الناظر وجنة المناظر**، مكتبة المعارف: الرياض.
القرضاوي، يوسف (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشدة**، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت.
القرطبي، محمد ابن أحمد الانصاري (١٤١٤هـ). **الجامع لأحكام القرآن**، ت: محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث: القاهرة.
ابن قيم الجوزية (١٤٠٧هـ). **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ت: سعيد محمد اللحام، ط١، دار احياء العلوم: بيروت.
ابن قيم الجوزية (١٩٧٣م). **مدارج السالكين**، ت: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي: بيروت.
ابن كثير، الحافظ الدمشقي (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م). **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر: بيروت.
محمد أبو شهبة، **الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ط٢، مكتبة اللغة: القاهرة.
محمد اسماعيل ابراهيم، **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية** (نسخة الكترونية)
محمد رشيد رضا(١٤٠٨هـ): **الوحي المحمدي**، ط١، الزهراء للاعلام العربي: القاهرة.
محمد الغزالي، **المستصفى من علم الاصول**، ط١، شركة المدينة: جدة.
محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** (نسخة الكترونية)
المعجم الوسيط، جماعة من الباحثين، المكتبة الاسلامية: تركيا.
المناوي، محمد عبدالرؤوف، **التوفيق على مهمات التعاريف**، ت: د. محمد رضوان الدايه، ط١، دار الفكر، بيروت.
ابن منظور(١٤١٣هـ-١٩٩٣م). **لسان العرب**: ط٣، دار إحياء التراث: بيروت.
المودودي، ابو الاعلى المودودي (٤٠٧هـ-١٩٨٧م). **كيف نفهم القرآن** ترجمة خليل: أحمد.
الهلالي، محمد تقي الدين(جمادي الاولى ١٤٠٤). مباحث في القرآن الكريم، **مجلة البحوث الإسلامية**، الرياض، عدد(٩).